

ممالك الرماد

محمود سليمان الظاظا

شعر

1

جميلة أنتِ

Ayelet، جميلة أنتِ يا

!كم أنتِ جميلة

من أين لكِ كلُّ هذا الجمال؟

أمن عيني والدتكِ الحسنة

ورقتها؟

أم من والدك النبيل

وشموخ حضوره؟

أجيبيني، بالله عليك

من أيِّ فجرٍ

جاء كلُّ هذا البهاء؟

2

خاتم النبيِّ سليمان عليه السلام

قد لا أستغربُ إطلاقاً

إن حدثَ اليهودُ يوماً

أنَّ خاتمَ النبيِّ سليمانَ عليه السلام

يرقدُ تحتَ عمودٍ
من أعمدةٍ بعلبك،
المعلّقة بين الأرضِ والسماءِ.
وأنَّ عليهم
أن يبدؤوا فورًا
بإزالة تلك الأعمدة
،واحدًا تلو الآخر
ثم يحفروا هناك
ليُخرجوا الخاتمَ من غيابه
ويحملوه مسرعين
إلى أبناءِ ملتهم
ليحتفوا به
ويتبرّكوا به
بحماسةٍ وحرارةٍ.

وسأصدّق ذلك،
حتى لو أدّى الأمرُ
إلى طمسينِ معالمِ
قلعةٍ بعلبك
من أساسها.

3

وطنٌ يسمو في عينيكِ،
ويزهو في مقلتيكِ،
وينبض قلبه حبّاً
كلما أشرقَت عيناكِ.
...يصحو
...يفغو

...يسمو

...ويزهر

،يسطع كالفجر

،ويلمع كالندى

،ويثمر كالأرض في ربيعها

ويحيا كالأطفال

في عينيكِ الجميلتين

.الخضراوين.

وهو عندي

أجملُ الأوطان

.على الإطلاق.

الفجر الصادق

أَيُّ فَجْرٍ صَادِقٍ
تَحْمِلُهُ عَيْنَاكَ؟
وَأَيُّ بَلَسِمٍ لِلْجِرَاحِ
يُشْرِقُ مِنْهُمَا
شَافٍ
لِكُلِّ الْجِرَاحِ؟
أَيُّ فَجْرٍ صَادِقٍ
تَهْدِينُهُ إِلَيَّ
مَعَ بَزْوَعِ عَيْنَيْكَ؟
وَأَيُّ بَلَسِمٍ
يُمَسِّحُ وَجَعَ الْقَلْبِ
وَيُبْرِئُ الْجِرَاحِ؟

،وتلك النظراتُ العبريةُ

لها في القلب

...وقعٌ عميقٌ

.وأكثر.

،فجرٌ صادقٌ

،وبلسمٌ للجراح

،ونظراتٌ عبريةٌ ثاقبةٌ

لها في القلب

وقعٌ

.وأعمقُ من الأثر.

ألف قصيدة حب^٣ وقصيدة
ألف قصيدة حب^٤... وقصيدة
بعيدًا عن تلك الحروب الدائرة
، في منطقتنا العربية
، عن ساحات المعارك
ونيران الأحقاد المتأججة
بين بعض دول العالم
، بعيدًا عن أزيز الرصاص
، ودوي المدافع
وسحابات البارود
، التي تغطي الفضاء
والدخان الأسود الكثيف
الذي يغزو الكون برمته.

...هناك

فرَّ الحصان الأبيض

العربي الأصيل

، من اللوحة

وتجمّد لهب الشمعة

مثل تمثالٍ صامت

.في ممالك الرماد

6

:

جبلُ الذهب

وبسحرٍ ساحرٍ

، تلاحشى جبلُ الذهب

وتناثرت ذرّاته
في الفضاءِ الرحبِ،
كأنّه ما كان
بل كأنّه
لم يُخلَقْ من الأساسِ.
...جبلُ الذهبِ
كان يا ما كان
هناك جبلٌ
يُسَمَّى
جبلَ الذهبِ.

Ayelet، أيا

أكنتِ حقًا

قائدةً ذلك السرب

من الطائرات الحربية؟

ذلك السرب الإسرائيليُّ

الذي استهدف

أحدَ فرسانِ لبنان الشجعان

، وبعضَ القادة الكبار

.نخبة النخبة.

Ayelet، أيا

أكنتِ حقًا

من أطلقتِ ذلك السرب

نحو أرضنا؟

حيث سقط
بعضُ جنودنا الأبطال
الشرفاء
الذين كانوا يذودون
عن الشعب
والوطن،
في وجه الطغيان
وآلات الدمار
آلاتٌ
لم ترحم
كبيرًا ولا صغيرًا
في بلدنا العزيز
لبنان،
ولم تستثنِ

حجرًا ولا بشرًا،
ولا كائنًا حيًّا
على هذه الأرض.
Ayelet، أيا
أكنتِ حقًّا
قائدةً ذلك السرب
العدواني؟
لا...

لا أصدق ذلك،
لا أصدق ذلك أبدًا،
...أبدًا

Ayelet، يا
في زمنٍ
تحوّلت فيه البلاد

إلى
ممالك الرماد.

8

:

حزنٌ دفينٌ

في عينيكِ
حزنٌ دفينٌ،
وواحةٌ خضراء
للأمل.

في عينيكِ
نظراتٌ حزينةٌ،

قلُّقٌ وخوفٌ

،من المجهول

ومن مستقبلٍ مبهمٍ

.تغيُّبُ عوالمه

وفي وجهك

قمرٌ جميل

،يبتسم بصمت

ويتألَّم

،من دون شكوى

مخبَّئًا حزنَه الدفين

،وألمَه العميق

وجرحَه النازف

.في أعماق القلب

وعلى شفَتَيْكَ

البارزتين الرائعتين

،الحمراوين

نضجت

حبيبات الكرز

والرمان

،والفراولة

حتى غدا طعمها

،أحلى فأحلى

كأنها

.ثمارُ الجنة.

وَأَنْتِ عِنْدِي أَجْمَلُ وَرْدَةٍ حَمراءِ.

مَوْعِدٌ آخِرٌ مَعَ الرَّبِيعِ

،الَّذِي يَظِلُّ مِنْ شَرْفَتِهِ الْمَرْمَرِيَّةِ

فِيَمَلَأُ الْبَسَاتِينَ

فَرَحًا... وَعِطَاءً... وَحُبًّا

مَوْعِدٌ آخِرٌ مَعَ الطَّيُورِ

،وَنِعَمَاتِهَا الْعَذْبَةِ

،مَعَ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ الْجَوْرِيِّ

وَمَعَ أَنْعَامِ الرَّبِيعِ الْجَمِيلِ.

مَوْعِدٌ آخِرٌ

...مَعَ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ

وَمَعِكَ

Ayelet.

المسيّرة المعادية

...واو... واو... واو

صوتٌ هادرٌ

لمسيّرةٍ معاديةٍ

تجوبُ الأجواءَ اللبنانية.

...واو... واو... واو

، لا تكلُّ، لا تملُّ

كأنها ظلٌّ ثَقِيلٌ

، في ممالكِ الرمادِ،

حيثُ كلُّ شيءٍ

...يبدو ممكناً

وموجعاً.

تَحْلُقُ بِحَرِّيَّةٍ تَامَّةٍ،

بِلا حَسِيْبٍ أَوْ رَقِيْبٍ،

تَخْتَرُقُ الصَّمْتَ

، لَيْلًا وَنَهَارًا

، لَيْلًا... وَنَهَارًا.

...واو... واو... واو

صَوْتُهَا

، يَنْحُتُ فِي الْقَلْبِ قَلَقًا

وَفِي السَّمَاءِ سُؤَالًا

، لَا جَوَابَ لَهُ.

، لَا تَكُلُّ، لَا تَمْلُؤُ

كَأَنَّ الزَّمْنَ

صَارَ أُسِيرَ هَدِيرِهَا.

...واو... واو... واو

وحدهُ الدعاءُ

يرتفعُ في وجهِ هذا الضجيجِ:

أن يحطّمها الله

ويحطّم من أرسلها

بحرمةِ الأيامِ المباركةِ

وبجاءِ ختامِ شهرِ الرحمةِ

آمين يا ربّ العالمين

11

من أيّ سلالَةٍ ينحدر القمر؟

من أيّ سلالَةٍ

ينحدرُ القمر؟

سؤالٌ يراودني

مرارًا

في ممالك الرماد.

أترى هو من سلالةٍ عبرية؟

هل يبدو عبريَّ الملامح؟

أم هو منحدرٌ

من سلالةٍ عربية؟

هل لوجهه البيضاويُّ

مَسْحَةٌ عربية؟

أم لعلُّه

من سلالةٍ رومانية؟

وهل يحملُ

في قسَماته

أثرَ الرومان؟

...تالله

من أيِّ سِلاةٍ

، ينحدرُ هذا القمرُ المنيرُ

، البيضاويُّ

، المبتسمُ في صمت

في ممالكِ الرماد؟

أعبريُّ هو؟

أم عربيٌّ؟

أم رومانيٌّ؟

سؤالٌ

يعودُ إليَّ

، كلَّ حين

. ولا أحسنُ له جوابًا

لذلك

...أتركهُ لكم

لعلَّ أحدًا

يهتدي إليه.

12

قصيدةٌ مميّزة

...صباحُ الخير

سأكتبُ لكِ

، قصيدةٌ مميّزة

قصيدةٌ

.تليقُ بكِ

، أعرفُ جيّدًا

، ومن أعماقِ قلبي

أَنْكِ تَحْبِّينِ
قِرَاءَةَ قِصَائِي
وَأَنَّهَا لَمْ تُولَدْ
صَدْفَةً
وَلَا عَبَثًا
بَلْ كُتِبَتْ
مِنْ أَجْلِكَ أَنْتِ
مِنْ أَجْلِ وَجْهِكَ
النَّاعِمِ، الْقَمَرِيِّ
وَمِنْ أَجْلِ شَعْرِكَ
الْكُسْتَنَائِيِّ
الْمُنْسَابِ كَعُنَاقِيدِ الْعَنْبِ
تَتَدَلَّى
عَلَى كَتْفَيْكَ

بألوانٍ من الشَّغفِ
من أجلِ عَيْنِيكَ
الخضراوين،
كأنهما بركتانِ صافيتان
في قلبِ طبيعَةٍ
غَناءٍ.

ومن أجلِ شَفَتِيكَ
الوردِيَّتَيْنِ،
الناعمتين،
اللتينِ تهمسانِ
بأسرارِ الجمالِ.

بل...
لأَجْلِكَ كَلِّكَ،
لأَجْلِ حُضُورِكَ

الذي يتجاوزُ
كلَّ وصفٍ.
يا Ayelet...

13

Silver Scent

حين يمتزجُ
عطرُك الناعم،
الربيعيُّ... الصيفيُّ،
المثيرُ الجذاب،
_ Silver Scent _

بسُحْبِ النيرانِ
المتصاعدةِ في السماء،

وبرائحة البارود

،المنتشرة في الهواء

تدركُ فجأةً

أَنَّ العطرَ

،فقدَ معناه

، لا طعمَ له

، لا لون

...ولا رائحة

كَأَنَّهُ

صارَ ظلاً

، بلا حضور

، وبلا قيمة

، ولا جدوى

.في حضرة اللهب

